

**نظرية الجوهر في الفكر الإسلامي**  
**وأثرها في الفكر الحديث**

**د / أحمد هيد الله الطيار**

**أستاذ العقيدة**

**بجامعة الإمارات العربية المتحدة**

**كلية الشريعة والقانون**

1847

1848

1849

1850

1851

1852

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد  
النبي الأكرم وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع  
سنته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

### ويعد

لفظراً لأن بعض الباحثين قد أهمل قضايا التراث الفكري الإسلامي بحجة  
أنه لا فائدة من البحث في القديم ، فقد وجدت من واجبي القيام بغرض غبار  
البحث في التراث لاستبعاد بعض لآلئه الحسن وإبرازها للباحثين كي يعرفوا أنه  
لا حديث بلا قديم .

من هذا المنطلق جاء هذا البحث مقارناً بين الفكر القديم مثلاً عند فلاسفة  
اليونان والهنود القدماء وما جاء في الفكر الإسلامي سواء عند الفلاسفة  
الإسلاميين أو المتكلمين . ومن ثم المقارنة بين هؤلاء والفكر الحديث ، وكيف أن  
المحدثين قد اعتمدوا على فكر الأقدمين ، ولذا يجب أن يفهم الباحثون أن ما جاء  
في الفكر الحديث ليس من بذات أفكارهم وإنما هم عالة فيه على القدماء .

وقد جاء للبحث الذي عنوانه ( نظرية الجوهر في الفكر الفلسفي ) مرتباً  
على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة : فقد اشتملت على الأهمية العلمية للموضوع .

أما المبحث الأول : فقد جاء تحت عنوان : ( مفهوم الجوهر ) وتناولت فيه :  
تعريف الجوهر ومفهومه .

وأما المبحث الثاني : فهو بعنوان ( تاريخ فكرة الجوهر ) وقد تناولت فيه تاريخ هذه لفكرة عند اليونان والهنود والقنماء إلى أن وصلت إلى الفكر الإسلامي ومن ثم للفكر الحديث .

وأما المبحث الثالث : فقد جاء تحت عنوان : ( الجوهر الفرد في الفكر الإسلامي ) وقد تناولت فيه الحديث عن فكرة الجوهر الفرد سواء عند الفلاسفة الإسلاميين أو للمتكلمين وإبراز مواقفهم منها .

وأما المبحث الرابع : فقد جاء بعنوان ( الجوهر في الفكر الحديث ) وتناولت فيه إبراز آراء الفلاسفة المعنئين من فكرة الجوهر ، وكيف أنهم قد اعتمدوا على فكر القنماء في القضية .

وأما الخاتمة : فقد اشتملت على أبرز النتائج التي توصل إليها البحث .

والله ولي التوفيق

## المبحث الأول

### مفهوم الجواهر

#### مفهوم الجواهر :

لغة : يطلق لفظ جواهر على كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به ،  
وجواهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته .

وقول لفظ الجواهر فارسي معرب .

وقيل إن الجواهر مشتق من الجهر بمعنى لظاهر ، ومنه جواهر الرجل أي  
هيبته وحسن منظره <sup>(١)</sup> .

أما الجواهر في الاصطلاح : فقد اختلف الفلاسفة والمتكلمون في تحديد مفهومه .

أما الفلاسفة : فقد اختلفوا في تصورهم للجواهر .

ويعتبر أرسطو أول من قدم تصوراً واضحاً لمصطلح " جواهر " وقد تأثر  
به فلاسفة الإسلام ويرى أرسطو أن الجواهر هو الموضوع الحقيقي للحمل ووجد  
تطبيقاً لهذا للمعنى في جميع الأشیاء المادية يقول في ذلك ( الجواهر هو الماهية  
أو الخاصة الأمامية التي تسلي للشيء الجزئي وجوده وحقيقته ) <sup>(٢)</sup> ، وينطبق  
هذا التعريف على أي شيء جزئي مادي محدد .

١ - انظر لمعان العرب لابن منظور ج ١ ص ٧٢ ، ط دار المعارف ، وانظر  
قاموس المحيط - الفيروز آبادي ج ١ ص ٣٩٥ ط ١ مؤسسة الطبعي وشركاه  
٢ - النفس والجسد ، د . محمود زيدان ص ٧٧ ط ١ دار الكتب الجامعية .

أما الكندي : فقد عرف الجوهر بأنه ( هو القائم بنفسه الحامل للأعراض ، غير القابل للكون والفساد )<sup>(١)</sup> ولما الفارابي قد أطلق مصطلح " الجوهر " على عدة معان منها :

أ - المجازة قتي في غاية التناسخ .

ب - ماهية الشيء .

ج - وما به ماهيته وقولم ذاته .

د - ويقال على كل مشار إليه لا في موضوع أصلاً .

هـ - ويقال على كل معمول عرف ما هو هذا المشار إليه من نوع أو جنس أو فصل<sup>(٢)</sup> .

وحاول الفارابي ترميز بين كل هذه المعاني السابقة فقال ( فوشيه أن يكون الفلاسفة نقلوا إلى الجوهر هذا الاسم من الحجر الذي هو نفس الأموال عند الجمهور وأجلها ، فزأوا ما يقتضيه الإنسان ، فسمى ذلك باسمه ، ولذلك قد تقع المقابلة بين هذا المشار إليه وبين كلياته ، فينظر إليهما أحري أن يكون له هذا المعنى الذي قيل لكل واحد منهما بأنه جوهر ، وهو : إليهما أوثق وجوداً وأكمل ، ( فإن " أرسطرطاليس " يسمي المشار إليه الذي لا في موضوع " الجوهر الأول " وكلياته " الجواهر الثواني " إذا كانت تلك هي الموجودة خارج للنفس ، وهذه إما تحصل في النفس بعد تلك ، وسلك الانتهاء قتي قيلت في كتاب المقولات ، فهذه هي الجواهر على الإطلاق ) .

١ - رسائل الكندي الفلسفية ، ص ١١٤ تحقيق ، د . أبو ريعة ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م ، دار الفكر العربي ، مكتبة الخالجي .  
٢ - نظر الحروف - الفارابي ص ٩٩ : ١٠٠ تحقيق محسن مهدي ، ط ١٩٧٠ ، دار المشرق ، بيروت .

وأما المعنى الثاني : فإنه جوهر مضاف ، ونقل إليه هذا الاسم عن المعاني التي يسميها الجمهور الجواهر ، على أنه جوهر لشيء ما ، مثل جوهر الذهب أو جوهر ليد أو جوهر هذا الثوب (١) ... الخ .

ولا يخفى تأثير الفارابي كغيره من فلاسفة الإسلام بأرسطو . وأيضاً نجد فلاسفة العصر الحديث أمثال ديكارت واسبينوزا وكانط وغيرهم قد تأثروا هم الآخرون بأرسطو في تصورهم للجوهر .

وعلى سبيل المثال نجد ديكارت يعرف الجوهر بأنه هو الشيء الدائم للثابت الذي يقبل توارد الصفات المتضادة عليه دون أن يتغير ، وضرب لذلك مثالاً بقطعة الشمع إذا اقتربت من النار فإن طعمها يزول وتتلاشي رائحتها ويتغير لونها وشكلها وحجمها وتصبح من السوائل في حين أن الشمعة ذاتها باقية ممتدة لينة ، مشرقة (٢) .

أما اسپينوزا فقد نسج على منوال سلفه ديكارت فجاء تعريفه قريباً من تعريف ديكارت حيث تصور اسپينوزا الجوهر على أنه ( هو القام بذاته والمدركه لذاته ) (٣) .

أما كانط ، فقد تصور الجوهر على أنه ( تصور قبلي ناشيء عن صورة الحكم المطلق من حيث إنه إسناد محمول إلى موضوع ، أو رفعه عنه ، وأولي مقولات الإضافية إنما تنشأ عن إيضاح النسبة بين الموضوع والمحمول ، وهي النسبة بين الجوهر والمرضى ، وصورتها دوام كمية المادة ) (٤) . وبلاحظ - أيضاً - تأثير كانط بديكارت في تصورهم للجوهر .

١ - انظر المصدر السابق ، ص ١٠١ .

٢ - انظر تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى - ديكارت ص ٧٧ : ٧٩ ترجمة كمال الحاج ، ط ١ ، ١٩٦١ م منشورات عويدات ، بيروت .

٣ - المعجم الفلسفي - جميل صليبا ، ج ١ ص ٤٢٥ ، ط ١٩٨٢ م ، دار للكتاب اللبناني ، بيروت .

٤ - المصدر السابق ، ص ٤٢٦ .

وبهذا يكون جميع للفلاسفة سواء منهم الإسلاميون أو المعتزليون الأوربيون قد تأثروا بأرسطو .

ولما لم يتكلمون فقد اختلفوا في تصورهم لحقيقة الجوهر ، فذهب المعتزلة إلى أن حقيقة الجوهر ( ما له خيز عند الوجود ) <sup>(١)</sup> . ولما الإشاعرة قد اختلفت وجه نظريهم في تصورهم للجواهر ، ويتضح ذلك مما ذكره الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه " مقالات الإسلاميين " حيث ذكر أربعة آراء مختلفة هي :

أولاً : أن النصارى قد ذهبوا إلى أن القائم بذاته هو الذي يطلق عليه جوهر .

ثانياً : وأن بعض المتكلمة ذهبوا إلى أن الجوهر هو القائم بالذات القابل للمتغيرات .

ثالثاً : وذهب البعض - ولم يسمهم - أن الجوهر ما إذا وجد كان حاملاً للأعراض .

رابعاً ، وذهب الصالحى إلى أن الجوهر هو ما لحتمل الأعراض ، وقد يجوز عنده أن يوجد الجوهر ، ولا يخلق الله تعالى فيه عرضاً ، ولا يكون محلاً للأعراض إلا أنه محتمل لها <sup>(٢)</sup> .

ويلاحظ هنا أن الشيخ الأشعري لم يذكر رأياً خاصاً به وإنما حكى بعض الآراء دون إظهار ميل لرأى معين منها .

١ - للتذكرة في أحكام الجواهر والأعراض - لحسن بن منويه النجاشي المعتزلي ، ص ٤٧ ، تحقيق ، د . سامي نصر لطفي ، د . فيصل عون ط ١ ، دار الثقافة للقاهرة .

٢ - انظر مقالات الإسلاميين - الأشعري ج ٢ ، ص ٨ ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ط ١ ، سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ ، مكتبة النهضة المصرية .



وذهب الباقلاني : إلى أن ( الجوهر هو الذي يقبل من كل جنس من أجناس الأعراض عرضاً ولو واحداً ، لأنه متى كان كذلك كان جوهرأ ، ومتى خرج عن ذلك خرج عن أن يكون جوهرأ ) (١) .

وذهب إمام الحرمين إلى أن الجوهر هو كل جزء .

وقد اعترض على تصور المستزلة للجوهر بأن لابد أن يكون موجوداً فقال ( وهذا الحد منقول ، فإنهم قد أثبتوا الشيء جوهرأ في العدم ، وهو تحيزه ، ثم لما حددوا الجوهر قالوا : وهو المتحيز في الوجود ، فشرطوا في الحد الوجود ، والحد يفارق المحدود ، فإذا كان مشروطاً وجب كون المحدود مشروطاً ، حتى يتوقف كون الجوهر جوهرأ على الوجود ، كما يتوقف التحيز عليه ) (٢) .

أما سيف الدين الأمدي فقد وافق السابقين عليه من الأشاعرة وامتدحها فقال : ( ... وأما عبارات أسعابنا فيه ، وإن كانت مختلفة فكلها جامعة لمادة ) (٣) .

ولذا كانت هذه هي تصورات الفلاسفة والمتكلمين للجوهر ، فما هي صفاته

#### صفات الجوهر :

من خلال عرضنا السابق لتعريفات الفلاسفة والمتكلمين للجوهر تبين أنه يشتمل على عدة صفات منها :

- ١ - التميز - الباقلاني ص ٤١ ، تعليق محمود الخضري ، وأبو ريدة ط سنة ١٣١٦ هـ - ١٩٤٧ م ، دار الفكر العربي .
- ٢ - الشامل في أصول الدين الجويني ص ١٤٢ ، تحقيق د . للنشار ، ود . فيصل عون ، د . سهر مختار ، ط سنة ١٩٦٩ م ، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية .
- ٣ - أبحار الأفكار للأمدي ص ١٥٠ مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ( ١٦٠٣ ) علم الكلام .

١- الوجود ، وهي صفة أساسية ، اتفق عليها الأكثرية ، إلا أن بعض المعتزلة ذهب إلى أن الجوهر يكون جوهرًا حتى في حال عدمه ومن بين هؤلاء أبو هاشم وأبو علي ، ولكن أبا القاسم البلخي قد رد عليهم بأن الوجود شرط للجوهر ، ولا يكون في حال عدمه<sup>(١)</sup>

٢- التحيز ، وهذه الصفة - أيضاً - من أساسيات الجوهر وهي ركن من أركان وجوده ، إذ أن التحيز مشروط بالوجود . وقد عرف كل من إمام الحرمين وابن متويه بأنه المتحيز ، أو ماله حيز عند الوجود<sup>(٢)</sup> .

٣- العلو ، وهذه الصفة من الصفات الضرورية - أيضاً - ضد القائلين بحدوث العالم وأنه مخلوق من عدم .

وقد أثبت هذه الصفة جميع المتكلمين ولكن الفلاسفة قد خالفوا المتكلمين حيث ذهب معظمهم إلى القول بأزلية للمادة ، وقمادة عندهم جوهر ، وبدوا عليها قولهم بقدم العالم .

٤- في جهة ، أي كون الجوهر كائناً في جهة بشار إليها ، وأثبت ذلك كل من الحسن بن متويه وابن رشد وابن سينا والإمام الرازي وغيرهم .

٥- يجوز عليه القضاء ، وقد تفرد المتكلمون بإثبات هذه الصفة .

٦- يمتنع عليه التداخل ، وأن وحدة الجوهر ووحدة حيزه متلازمان وقال المتكلمون أيضاً بهذه الصفة دون غيرهم .

١ - انظر المسائل في الخلاف بين البصريين والقيسانيين - أبو رشيد اللويسابوري ، ص ٣٧ : ٣٦ تحقيق معين زيادة ورضوان السيد ط ١٩٧٩ م ، معهد الإتمام العربي - بيروت .

٢ - انظر الإرشاد - للجويني ص ١٧ والتذكرة في أحكام الجواهر والاعراض للحسن بن متويه ، ص ٥٦ .

٧ - الجوهر لا ضد له ، هذه الصفة قد اجمع عليها الفلاسفة الإسلاميون وهم في ذلك قد تابعوا أرسطو متابعين تامين (١) .

٨ - الجوهر لا يشتد ولا يضعف ؛ وهذه الصفة وثيقة الصلة بسميتها ، ومجانها أن جميع الجواهر مسموية ؛ الجوهر ريد لا يقل ولا يزيد عن جوهر عمرو ، وكذلك فإن جوهر الإنسان وهو منفل هو نفس جوهره وهو شاب ، وهو شيخ الخ ، الإنسانية بوصفها جوهر لا تخضع للزيادة ولا النقصان .

٩ - قبول الجوهر للمتناقضات ؛ تربط هذه الصفة من الصفات الرئيسية للجوهر ، بدعي من الخصائص الذاتية ، أو هي على حد قول أرسطو تعتبر من أولي الخواص بالجواهر ، وهي من أوصاف الصفات في الجوهر لكونها عامة في جميع الجواهر ، فالجسم الواحد يمكن أن يكون أبيض أو أسود ، بارداً أو ساخناً ، حسيماً أو قبيحاً ، ولكن ليس من جهة واحدة وفي نفس الوقت ؛ بل من جهتين مختلفتين إذا كان الوقت واحداً ، أو من جهة واحدة في وقتين مختلفين (٢) .

انقسام الجوهر ؛ اختلف المتكلمون والفلاسفة في تقسيم الجوهر .

فذهب المتكلمون إلى أن الجوهر ينقسم إلى قسمين هما : الجسم ، والجوهر الفردي .

ورأوا أن الجوهر هو المتحيز ، والمتحيز إما أن يقبل القسمة سواء كان في جهة واحدة أو أكثر وهو للجسم ، أو لا يقبلها أصلاً وهو الجوهر الفردي (٣) .

أما الفلاسفة فقد ذهبوا إلى تقسيم الجوهر إلى خمسة أقسام هي :

- ١ - انظر فكرة الجوهر في الفكر الفلسفي الإسلامي ، د. سامي نصر نطفي ، ص ٦٩ .
- ٢ - انظر المصدر السابق ص ٧٤ .
- ٣ - انظر الإنصاف - فياقلاني ص ١٦ و الإرشاد - الجويني ص ٤٢ .  
 والشامل للجويني ص ٤٠٢ .

الهيولي أو المادة ، الصورة ، الجسم ، النفس ، العقل

يقول ابن سينا مصوراً ما ذهب إليه الفلاسفة من تقسيم للجوهر ( إن كل جوهر قائم أن يكون جسماً ، وبما أن يكون غير جسم . فإن كان غير جسم ، فإنه أن يكون جزء جسم ، وبما أن لا يكون جزء جسم ، بل يكون مفارقاً للأجسام بالجملة ، فإن كان جزء جسم ، فإنه أن تكون صورته ، وبما أن يكون مائتته ، وأن يكون مفارقاً لبعض أجزاء جسم ، وبما أن تكون له علاقة بصرف ما هي الأجسام بالتحريك ، ويسمى نفس ، أو يكون مبرئاً من المواد من كل جهة ويسمى عقلاً (١) .

ويلاحظ أن هذا التقسيم للجوهر عند الفلاسفة لا ينحصر ما يسمى عند المتكلمين بالجوهر الفرد ، أو الجزء الذي لا يتجزأ .

١ - الفناء - ابن سينا ج ١ ص ٦٠ ، تحقيق سعيد وابد مراجعة د إبراهيم  
مذكور ط ١ ، ١٩٨٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

## البحث الثاني

### تاريخ فكرة الجوهر

إن فكرة الجوهر كان لها وجود في التصور الفلسفي منذ أقدم العصور سواء في الفكر اليوناني أو الهندي .

#### أولاً : فكرة الجوهر عند اليونان :

عرفت هذه الفكرة عند اليونان - قديماً - بالذرة ، وكان لها رجالها الذين اشتهروا من بين المفكرين بأنهم أصحاب المذهب الذري

وقد اختلف المؤرخون حول الأصل التاريخي لمصطلح الجوهر .

فذهب البعض إلى أن أصل الفكرة ترجع إلى اليوناني في عصر ما قبل المتوسطاتيين وسقراط ، أمثال ' طاليس ' و ' هيرقليطس ' وغيرهما ، ومن هؤلاء المؤرخين ' جاس فال ' الذي أرجع فكرة الجوهر ' إلى أصول ثلاثة .

أ - مدرسة الطبيعيين الأوانين .

ب - عصر أرسطو .

ج - العصر الحديث .

يقول " جان فال " عن تاريخ مصطلح ' جوهر ' ( في تصور الأوانين للجوهر كان تصور ' ناقص ' ، لأنهم لم يتوصلوا إلى معرفة كيفية الفصل بين الجوهر للمادي والجوهر للروحي ، فلم تكن لديهم فكرة واضحة عن كليهما ، ولكن القسمة للتأدية كانت كاسية في فكرة الجوهر ، فعندما قال طاليس ( إن المادة خاصة بالآلهة ، فإن كلامه كان يعني بالفعل وجود انقسام بين المادة

و لآلهة الموجودة فيها ثم وصحت مشكلة الثنائية بين الجوهر عند مسرط بعد تأثره بالفيثاغوريين وبأفلاطون الأخلاقية ، فأصبح الجوهر هو المثال (١)

ويقول أيضاً ( إن أرسطو كان أعظم تأثيراً من أفلاطون على تطور فكرة الجوهر ، فقد اعتقد أن الأصح هو اعتبار الجوهر وحدة الصورة والمادة ، ولكنه لم يستطع القول : كيف توجد الماهية مستقلة عن المادة ، ومن ثم لا يصبح اعتبار الجوهر قدي جاء به جوهراً إلا إذا أصيب إليه عنصر لا جوهري ، كما اعتقد أرسطو أفلاطون في التجريد الذي ظهر في فكرته عن الجوهر (٢)

ويقول أيضاً ( إن لفكرة الجوهر أصلاً موضوعياً يرجع إلى الأشياء ذاتها ، وأنه ينبغي أن يفرق الشخص بين المنصدة والكروني والشجرة ، كي يكتسب نفسه في هذا المعلم ، والطفل ينبغي الأشياء محتوية في باطنها على نوع من الفجوي الروحي ، وهذا يكشف لنا عن أول أصل لفكرة الجوهر ، وهي تأمل الأشياء عن الأصل (٣)

وهذا المفهوم هو الذي ذهب إليه الطبيعيون الأولون حينما سألوا أنفسهم عن أصل وحقيقة الأشياء التي يتكون منها العالم .

ومن أبرز هؤلاء " ديموقريطس " ( ت ٣٦١ ق م ) والذي يعد أول من نادى بهذه الفكرة من بين فلاسفة اليونان .

حيث رأي أن الملاء والملاء معاً هما المكونان الرئيسان للأشياء جميعاً . ونسب الملاء إلى أجزاء كثيرة لا حصر لها ، ولسماتها " الذرات " وتوجد مفصولة بعضها عن بعض .

١ - طريق الفيلاسوف ، ص ٤٠ .

٢ - المصدر السابق ، ص ٤١ .

٣ - طريق الفيلاسوف ، ج١ قال ، ترجمة أحمد حمدي محمود ص ٤٩ بتصرف  
مراجعة د . أبو العلا عيسى ط ١٩٦٧ م الناشر مؤسسة سجل العرب ،  
القاهرة .

ويري "ديموقريطس" أن الذرات قديمة لا بداية لوجودها ولا نهاية لها ،  
خلاف لما عليه المتكلمون .

ويري أنه متشابهة في طبيعتها ، وإنما تختلف من حيث الشكل والحجم .  
وهذه الذرات - عدده - تتحرك بذاتها ، دون محرك من خارج ، وأن حركتها  
مستمرة على شكل دائرة .

وعلى أساس هذا التصور للذرات ، فسّر "ديموقريطس" التغير الذي يحدث  
في الوجود على أنه إما اتصال للذرات أو انفصالها بنصب عن الهمس الآخر<sup>(١)</sup>

وبذا كان "ديموقريطس" قد افترض ضرورة وجود خللاء كي تتم حركة  
الذرات ، فإن "أرسطو" قد ذهب إلى أن الخللاء نفس شرطاً ضرورياً لإتمام هذه  
الحركة .

ومن هنا يرى أرسطو أن الوجود واحد ساكن ، حيث لا وجود للخللاء -  
هذه - سواء بالفن أو بالقوة مفارقاً أو غير مفارق .

والشيء الوحيد الذي يقبل الضدين للفن والقوة هو المادة إذ كانت هي  
موضوع التغير<sup>(٢)</sup> .

وبذلك يرى أرسطو أن الفاعل الموحد هو الذي يوجد المادة وللصورة معاً  
جمعة ، وذلك عن طريق تحريكها تحريكاً يسهل لها الخروج من حيز القوة إلى  
حيز الفعل ( الوجود ) .

وتتجسر وتنفذ العاقل - عند أرسطو - على تسهيل خروج المادة من  
حيز القوة إلى حيز الوجود ، ويعمل على اتصالها بالصورة أي الاتصال بين

١ - تظن تاريخ لفكر الفيلسوف د . محمد علي أبو ريان ج ١ ص ٩٠ ، ٩٢ ط  
١٩٦٥ م ، مكتبة الإسكندرية .

٢ - الظن المصدر السابق ج ١ ص ٦٠١ .

للمادة والصورة . ولأن كل عملية إيجاد أو خلق إنما هي عبارة عن حركة سببها الحركة ، حتى إذا ما انتشرت في الماء واليابس تولدت عنها الحيوانات والنباتات من غير قبح ، وهذا ما يسمى عند البعض بالتولد الذاتي .

والفاعل عند أرسطو - لا يخلق الصورة خلقاً لأنه يرى عدم جواز الشيء من لا شيء وقد ذهب على ذلك بعض فلاسفة الإسلام كابن سينا الذي يرى أن قوة الإيجاد والخلق موجودة في الفاعل ، ولكنه لا يمكن خلق الشيء إلا من شيء أما المتكلمون فقد خالفوه في ذلك ورأوا أن الفاعل يخلق الشيء من لا شيء لعدا من دلالة القول الكريم والحديث النبوي الشريف .

### ثانياً : فكرة الجوهر عند الفلاسفة :

لا يعرف بالتحديد مصدر القول بالجوهر عند الفلاسفة ، ولا في أي وقت ظهر . ولكن يمكن القول بأنه قد شاع في الهند نظريات حول هذا المصطلح منذ حوالي القرن الخامس الميلادي وما بعده .

فقد ظهرت عند بعض فرق الفوبية ، حيث ذهبت إلى أن للمادة والمكان والزمان تنقسم إلى أجزاء لا تتجزأ ، ويشغل كل جزء من المادة نقطة من المكان ، وهذه الأجزاء لا تتنوع بتنوع العناصر ، لكن لها كميات أهمها أن تكون رطبة أو يابسة ، ويحصل اتصال الأجزاء بسبب درجة قوة هذه الكميات ، وذلك طبقاً لقواعد معينة . ومن هذه الفرق من قال بالانفارقة بين الجوهر والعرض .

والجوهر عندهم - هو المادة المسماة بالمتاع ، والمكان والزمان . أما الأعراس فإن سطحها الجواهر ، والأعراس لا تتصل أعراساً أخرى<sup>(١)</sup>

١ - انظر كتاب الله ولعالم والإيمان في الفكر الإسلامي د . محمد جلال شرف ص ١٧٩ ، ط ١٩٨٩ دار المعرفة الجامعية .



وقد حاول بعض هرق لليومية عند الرد على خصوم الجزء الذي لا يتجرا - الخروج عن اعتراصهم من انه لابد انني يمس الجزء سفته من أمثاله

وعلي هذا لابد ان تكون به ست جهات ومن ثم يصبح له اجزاء وهذه الجهات لا تكون لا ذرة واحدة ، والفراغ أو الحلاء الذي يوجد خلال أي ذرة لا يمكن ان يقبل الانقسام .

ويذهب البعض الي وجود مركب لا ينقسم مؤلف من سبعة اجزاء لا تتجرا ، وهو من حيث انه مركب يتكون من ست جهات ، والجزء الواحد إنما يتصور وجوده في داخل هذا المركب ، ولا يتصور معزداً<sup>١١</sup> .

من خلال العرض السابق يتبين ان فكرة الجوهر اجملت مساحة تيمت بالقليلة في الفكر الهندي القديم .

١ - المصدر السابق / ص ١٧٩ - ١٨٠ .

## المبحث الثالث

### الجوهري النقطة في الفكر الإسلامي

رأي فلاسفة الإسلام - أنكروا ما يسمى بالجوهري الفرد وذهبوا إلى أن الجسم كم متصل إلى نفسه قابل للتقسعة إلى غير نهاية بحسب الإمكان وقرعوا بين فكرة انقسام الجسم إلى أجزاء لا نهاية لها بالفعل ، وبين انقسامه إلى أجزاء لا نهاية لها بالقوة ، وأجازوا ثنائية إلى ما لا نهاية لها بالفعل ، وبين انقسامه إلى أجزاء لا نهاية لها بالقوة ، وأجازوا ثنائية إلى ما لا نهاية ، وأنكروا لا نهائية الانقسام بالفعل فالأجسام مركبة بالفعل من أجزاء متناهية

موقف ابن سينا : ذهب ابن سينا إلى أن ( كل حادث زماني ، فهو مسبوق بالمادة لا محالة ، والمادة خديمة ، وإلا احتاجت إلى مادة أخرى ، ويتسلسل ، والتسلسل بطل ، والمادة لا تخلص عن قصور الجسمية ، أو الفلوجية ، فيلزم انهم الجسم (١) .

ويبين مما قاله ابن سينا أنه أرسطي الذرعة حين ذهب إلى أن كل جسم طبيعي مكون بالذات من جزئين : أحدهما يقوم مقام الخشب من السرير ويقال له " هيولي ومادة " والآخر يقوم مقام صورة السرير من السرير ، ويسمى صورة .

وكل جسم حادث لو متغير ، يفقر من حيث هو كذلك إلى عدم سبقه ، لولاه لكان أولى الوجود ، وكل جسم متحرك إما أن تكون حركته صادرة عن سبب من خارج ، ويسمى حركة قسرية .

١ - نسخة ابن سينا ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، تقديم د . ماجد فخري ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . دار الأمل الجديدة ، بيروت .

وهي أن تكون صائفة من معيب موجود في نفس الجسم ، من حيث أن الجسم لا يحركه بدنه ، وذلك السبب في كل محركاً على جهة واحدة على سبيل السخبر ، فيسمى طبيعة ، وإن كان محركاً حركات شتى بإرادته ، أو غير إرادة فيسمى نفساً<sup>(١)</sup> .

والأجسام عند ابن سينا هي بسيطة ، وهي التي لا تنقسم إلى أجسام مختلفة الطبائع مثل السماوات والأرض والماء والهواء والنار

وبما مركبة ، وهي التي تنحل إلى أجزاء مختلفة الصورة ، منها تركبت مثل النباتات والحيوان والأجسام البسيطة توجد قبل المركبة ، وهي بسيطة لأن من شأنها أن يوصف منها الأجسام المركبة ، أو لا يكون من شأنها ذلك<sup>(٢)</sup> ويعتبر رأي ابن سينا ممثلاً لرأي الفلاسفة الإسلامية فيما بعد ابن سينا

وقد ذهب للبعض الآخر في مصطلح " جوهر " ترجم عن اليونانية إلى لفظ " عين " العربية بقول المفسر في الإطالي " نيلينو " في مجلة الدراسات الشرقية في ثمة فقرة مهمة بالنسبة إلى مسألة الكتب المنطقية التي ترجمها محمد ابن عبد الله بن المقفع ، وإلى استعمال لفظ " عين " بمعنى " جوهر " .

وهذه الفقرة موجودة في كتاب معانيج العلوم لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن يوسف الفوارسي يقول فيها : ويسمى عبد الله بن المقفع الجوهر عيناً ، وكذلك سمي عامة المقولات<sup>(٣)</sup> .

١ - فنظر الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي د . محمد جلال شرف ، ص ٢٠١ : ٢٠٢ .

٢ - لمصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

٣ - نقلاً عن التراث اليوناني في الحضرة الإسلامية ص ١١٩ ( دراسات لكبير المفسرين ) ترجمة د . عبد الرحمن بدوي ط ١٩٤٠ م ، الناشر مكتبة النهضة المصرية

ليس نخلص إلى أن مصطلح "جهر" يوناني الأصل ، ثم عرب بعد ذلك ، وقد استعجمه فلاسفة الإسلام ووصفوا له مفاهيم تتفق مع مبادئهم ، ولكنه ليس بالفعل المصطلح المسمى بـ "الجهر الفرد" عند المتكلمين .

يقول د . النشار " إنه أصبح واضحاً أن "أوسيا" أرسطو بالفعل "جهر" . فلاسفة الإسلام ، ولكي يثبتوا جهر عند المتكلمين ، وذلك لأنهم يقصرون به - في معظم الأحوال - الجزء الذي لا يتجزأ . أما إذا بحثنا عن مقابل لفكرة الجهر القائم بنفسه عند فلاسفة الإسلام ، والأوسيا الأرسطية ، فإلى نجد ذلك الجهر مثلاً في فكرة الجسم عند المتكلمين (١)

مواقف المتكلمين من نظرية الجهر الفرد ،

أولاً الاعتزالية : بعد المعتزلة لول من أثبت حدوث العالم عن طريق حدوث الأجسام حيث أثبتوا حدوث الأجسام بحدوث ما يستلزمها من الأعراض .

ورأوا أن الأجسام لا تلك عن أعراض محدثة ، وما لا ينفك عن الحوادث لو ما لا يبقى الحوادث فهو حادث لا متتابع حوادث لا أول لها .

مواقف المعتزلة ، وقد ذكر الإمام ابن تيمية أن أب الهذيل العلاف هو أول فيلسوف مسلم حاول حل المشكلة الطبيعية ، ولكن في مبدئي حمل القدرة الإلهية في محيط أهم مقدور لها ، وهو العالم ، والذي رآه متغيراً غير ثابت ، فعالج التغير بمذهب الجزء الذي لا يتجزأ أو المذهب الذي (٢) .

فالعالم - عنده - يتكون من عدد من الذرات أو الجواهر الفردة ، وهي بسيطة لا تركيب فيها ، ويتصف هذا الجزء بأنه لا طول له ولا عرض ولا عمق

١ - فكرة الجهر . د . سمى نصر لطفي ص ٢٦ ، ط ١٩٧٨ م ، مكتبة الحرية الحديثة .

٢ - انظر منهاج السنة ابن تيمية ص ٢٢١ تحقيق د . رشيد سالم ، ط ١ ، ١٩٦٦ م ، القاهرة .

ولا اجتماع فيه ولا افتراق هذه الجواهر الفردة يتصل بعضها ببعض ، أي يتصل كل جزء منها بالجزء الآخر ويعبره ، أي أنه يتحرك ويمسك وينفرد ، ومن طريق اجتماعها يحدث الكون ، وبانفصالها يحدث الفساد وحركة هذه الأجزاء تكون في الزمان .

أما المكان فهو تحقيق ثلاثيات المنفصلة فيه .

والعالم مكون من هذه الجواهر التي تتحرك في الغلاء وكل ما يحدث من تغير وأحداث فهو أعراض لهذه الجواهر ، كما يقتضيه سياق مذهب المعتزلة ، الذي يؤكد فيه القدرة الإلهية ، فإذا كان الله تعالى قادراً على كل شيء فهو قادر على تفريق الجسم ، حتى ينتهي إلى مقدار لا تكلف فيه ولا اجتماع قط ، أي ينتهي إلى جزء لا ينقسم .

ويؤكد مذهب المعتزلة تنامي المخلوقات الحادثة ، ولها كلا وجميعاً وغاية ونهاية على خلاف المخلق لها سبحانه وتعالى .

وهذا المذهب يعارض ما ذهب إليه " ديمقريطس " معارضة صريحة حيث يرى تحكم الآلية للبحث في مصدر الذرات بينما يرى المعتزلة أن مصدر الذرات هو الله سبحانه وتعالى وهو كائن روحي وعاقل يخلق الذرات ثم يتصل في العالم ، لكي يقوم هو بتحريكها وتسكينها ، وكل ذلك خاضع للإرادة الإلهية والعالم الإلهي المحيط بكل شيء <sup>(١)</sup> .

موقف النظام :

لم يقبل النظام هذه الفكرة ( فكرة الجزء الذي لا يتجزأ ) ورغم أنه ليس جزء من الأجزاء إلا ويقسمه النظم إلى نصفين بفكرة لا يتفصل ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف نقطع في مسألة يمكن تنهيتها ممكن لا نهاية له ؟ ؟

١ انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، د . النشر ، ج ١ ، ص ٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ط ١٩٦٥ م ، الإسكندرية .

وهنا يرى النظام أن الجسم قد يكون في مكان ثم ينتقل حصة إلى مكان آخر دون أن يمر بطريق الترتيب الثاني ثم الثالث مثلاً ، بل يمكن أن ينتقل من الثاني إلى الرابع أو الخامس مثلاً .

ويتفق فكرة الطفرة عند النظام مع فكرته في الحركة

لما الأجسام كلها متحركة ، حتى في الوقت الذي يحسبها فيه ساكنة . ولذلك ذهب النظام إلى أن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن ، معادن ونباتات وحيوان وإنساناً ، ولم يتقدم خلق إنسان على خلق إنسان آخر ، حتى لم نفسه أبو البشرية .

لما التقدم والتأخر فلا يكون في وجودها ، أو في حدوثها ، وإنما في صورها في أماكنها أي في الله تعالى أكمل بعض الموجودات في بعض ، فإذا جاء وقت ظهورها ظهرت ، أي حدثت لها حركة ، والحركة هي العرض الثابت

والعالم - عنده - يتكون من أراض هي أجسام لطيفة ، والله تعالى لا يعطي نذبات القدرة على كل شيء من الأراض سوى الحركة .

ومن هذه الأجسام للطيفة نجد الأول والأصول والطبوم ، فلا دخل للإنسان في فعلها ، ولا يستطيع التوصل إلى معرفتها وحقيقتها ، وإنما الذي يغطيها هو الله تعالى<sup>١</sup> ولكن سهام النقد وجهت إلى النظام لقوله بما يسمى .

بالطرفة لكي يخرج من الحائز الذي وقع فيه ، حيث هرب من القول بالخلاء في قرص والمكان والحركة إلى القول بالطرفة ، واعتبر الحركة طرفة

١ - لنظر تاريخ الفلسفة في الإسلام - دي بور من ٩٦ مترجمة ، د أبو ريبة ، ط ١٩٥٤ م ، القاهرة ، ونظر مذهب الجوهر لفرد عند المنكلسين لأولين في الإسلام ، أبو توبير ينزل من ١٤٢ مترجمة ، د ، أبو ريبة ، ط ١٦٤٦ م القاهرة .

من نقطة إلى أخرى ، كما أن الزمان منفرد من آن إلى الآن ، ومن بين الذي  
لذلك : نظريته بالانفرد كالأشياء الستة والبنفساني والمستشرق - هو - (١)

#### مواقف معمر بن عباد الصليبي

حاول لتوفيق بين معاصريه العلاف والنظام ، ورأي أن الجسم هو تطويل  
والعريض والعميق كالنظام ، ولكنه مع ذلك يكون من اجزاء لا تتجزأ ، وكل  
الأجسام ثمانية اجزاء ، فإذا اجتمعت وجبت الأجزاء كما ذهب إلى ذلك العلاف

ويري معمر الصليبي أن الأجسام كلها ساكنة في الحقيقة بالفعل ومتحركة  
بالقوة ، على العكس من النظام . والمكون هو الكون

وكأنه يريد إنكار حركة الأجسام في وقت خلقها وإنكار فكرة فلاسفة  
الإسلام للمعادن التي تقول بأن الحركة هي الخروج من عدم إلى الوجود ، أو  
من القوة إلى الفعل (٢) .

لكن من الملاحظ أن أرسطو قد جعل وظيفة الفاعل هي التحريك فقط ، أي  
تحويل الخرج للشيء من القوة إلى الفعل ( الوجود ) على العكس من " معمر " .  
لذي جعل مع الله تعالى الوجود للمعنوم ليس حركة ، وإنما هو خلق .

مما سبق يتضح أن جميع المعزلة قالوا بالجزء الذي لا يتجزأ ( الجوهر  
الفردي ) ما هذا النظام .

وإن أول من قال بهذه الفكرة من المعزلة هو أبو الهيثم العلاف

١ - انظر المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٩٥ - ٥٩٩

٢ - انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ج ١ ، ص ٦٢٥

وقد وافق ابن حزم الظاهري للنظام في رفضه لهذه الفكرة .

كذلك أنكر ابن تيمية فكرة الجوهر الفردي بقول في ذلك ( ابن أبي  
القرآن الجسم الاصطلاحي المركب من الجواهر المفردة التي لا تقبل الانقسام ، أو  
من المادة والمصورة ) (١) .

ويقول أيضاً ( القول بثبات الجوهر الفردي مما أنكره أئمة السلف والعقهاء  
وأهل الحديث والصوفية وجمهور الفقهاء ، وكثير من طوائف أهل الكلام  
كالماتمية والضرورية والنجارية ) (٢) .

### ثانياً ، موقف الانحصار :

قال الأشاعرة بنظرية الجوهر الفردي لمعارضتها فكرة أرسطو عن المتحرك  
الأول ، الذي يحرك لفظ ولا يتحرك ، وكذلك فكرته عن المادة القديمة المتحركة  
وقد وضع الأشاعرة لهذه الفكرة ( فكرة الجزء الذي لا يتجزأ ) أساساً عقائدياً  
هنا وهو أن الله تعالى أزلني خليم .

أما لعالم وهو ما سوي الله فمكون من جواهر وأعراض ، وجميعها حادث  
، وكل لا يخلو عن الحادث فهو حادث .

ولا بد لهذه الأعراض والجواهر من محدث وهو الله عز وجل ، الذي يخلق  
هذه الأجزاء ، ثم نفس يوحدها خلقها ، ووجودها يستند في كل الأحوال والأزمنة  
على قنصل الإلهي . وهذا هو الخلق الجديد ، أو الخلق المستمر (٣) .

١ - درء تعارض العقل والنقل - ابن تيمية ج ٤ ص ١٢٤ تحقيق د . محمد  
رشيد سالم ط دار الفكر الأنبي .

٢ - المصدر السابق نفس الصفحة .

٣ - النظر بشأن الفكر القمعي في الإسلام ، د . الشار ، ص ٥٦٦ ٥٦٧



وقد ذهب لأشعة إلى أن ( الجسم هو المؤلف أو المؤلف وبسمى بالتجربة في حد لا يقبل للتجربة ولول من قبل بذلك من الأشعة شيخ الأشعة أبو الحسن الأشعري ، فذهب إلى أن الأشياء كلها متناهية كالحركة والزمن ، والعقل والمعلومات - والجسم ينقسم إلى نهاية لا تقسم بعدها ، وكل يجد أصل القول بذلك في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ لَّخَصْمَةٌ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ . وقال في الإحصاء لا يحيط إلا بما له نهاية ، فيجب أن تكون لجزاء الجسم متناهية في عددها (١) .

وقد أثبت هذه الفكرة من الأشعة ودفعوا عنها دفاعاً مستميتاً من القاضي الباقلاني ، وإمام الحرمين الجويني والإمام أبو حامد الغزالي (٢) .

١ - مذهب الشيعة عند المسلمين - بونيس ص ٢ . ترجمة د. أبو ريدة والآية من سورة يس رقم ( ١٢ )  
٢ - انظر التمهيد - الباقلاني ص ٤١ ، ٤٢ . والشامل للجويني ص ١٤٨ وموافقة صحيح المنقول لصريح المحقول - ابن تيمية ج ٧ ، ص ٢٣٢ ، تحقيق د. محي الدين عبد الحميد وحامد النفي ط ١٩٥١ م ، القاهرة .

## المبحث الرابع

### فكرة الجوهري في الفكر الحديث

احتلت فكرة الجوهري أو ( الذرة ) مساحة كبيرة في العصر الحديث ، وحاول الفيزيائيون التعرف على مكوناته ، وهل يمكن تحليلها أم لا ؟

هنا حدثت ثورة علمية كبيرة في تحليل الذرة ومعرفة مكوناتها ، فتغيرت فكرة العلماء عنها تماماً .

يقول د / أبو ريذة مصوراً هذا التغيير ( . وفي العصر الحديث وخصوصاً قبل أن تتغير فكرتنا عن ماهية المادة بفصل جهور لعلماء الطبيعة المعاصرين ، كان العلم يؤيد متكلمي الإسلام القائلين بالذرة . وهي لجوهر الفرد في اصطلاحهم ، على فلاسفة الإسلام الذين أنكروها ، ولا شك أن متكلمي الإسلام كانوا في كثير من الأحيان أقرب والغرب إلى روح العلم من فلاسفته<sup>(١)</sup> .

ويقول " هانز ويشنهاج " ( في نظرية الذرة قد بلغت في القرن التاسع عشر مرحلة بذورها ، وجودها أمراً لا يشترط إليه تشكك )<sup>(٢)</sup>

وبعد أن أصبح ثبوت وجود الذرة أمراً لا شك فيه ، حاول الفيزيائيون التوصل إلى معرفة مكوناتها ، وذلك على وجه التقريب في القرن العشرين ، حيث اكتشف النشاط الإشعاعي ، وهو عبارة عن الانحلال الذاتي للذرات .

يقول د / جورج جامون وهو من أبرز رجال الفيزياء النووية المعاصرين ( لقد اعتبرت الذرات دقائق لسمية لا تنقسم ، ولأنها ظلت في حالتها تلك أطواراً من التزامن غير متناهية ، ومهما يكن من أمر ذلك ، فإنه عندما استكشفت

١ - مذهب الذرة عند المسلمين ص ١ : ٢ .

٢ - نشأة الفلسفة العلمية - هانز ويشنهاج ص ١٥٠ ترجمة د / هادي زكريا ط ١٩٦٧ م ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .

لـ ، د أحمد عبد الله الطيار

الخصائص الطبيعية لموت النشاط الشمسي تحول المواقف تماماً ، فقد التحبب الآن واختلعت نهائياً (١) .

والمثال فيه قاله جورج جاموف يتبين منه أنه يتفق مع الأقول بحدوث العالم ، لأنه أثبت وجود الجزء الذي لا يتجزأ ( الذرة ) كما أنه أثبت أن هذا الجزء قسم غير متناه في القسم وذلك بخلاف مصور المتكلمين له ، حيث أنهم قد أثبتوا الجزء وقالوا إنه متناه وأنه مخلوق من عدم

ويتبين أيضاً - أن الجزء الذي لا يتجزأ هو ذرة قد انتهى لأن وفي هذا دليل على أنه حادث ومخلوق ، وأن له نهاية وكل ما له نهاية لابد أن يكون له بداية . وقد ذكر " هازنويشبيخ " للمراحل التي مرت بها النظرية للذرة المكونة بمادة منذ بدايتها على يد " ديمقريطس " اليوناني إلى نهايتها في العصر الحديث ، ومعرفة مكوناتها . وذكر آراء العلماء في تفسير وجود جزيئات أولية للمادة .

وفي سنة ١٩٠٠ م اكتشف " بلانك " نظرية " الكوانتم " (٢) . وهي تصور الانقسام من الأجسام الساخنة ، حيث إن الإشعاع يشرج تحت نظرية الذرة ، وذلك لأن القوة تعد مجموعة من الجزيئات الأصغر منها .

وقيل إن أول كشف لتصبح منه أن الذرة بتركيباً دقيقاً هو الذي قام به العالم الروسي " مندلييف " فقد أدرك في أواسط القرن التاسع عشر أنه إذا رتبنا ذرات العناصر الكيميائية حسب طوري فلن نجدها الكيميائية فنجد ترتيباً قانونياً (٣) .

- 
- ١ - نشوء الكون - جورج جاموف ص ٢٩ ، ترجمة يساعيل مظهر ، ط ١٩٥١ ، مكتبة النهضة المصرية .
  - ٢ - جزيئات الحفرة المتناهية في الصغر .
  - ٣ - النظر في نشأة الفلسفة العلمية ص ١٥٤ .

وقد ذهب البعض إلى أن أول من وصف التركيب الداخلي للذرة هو اللورد رذرفورد<sup>١</sup> وأقول "طومسون".

وبناء على ذلك فإن معظم مادة الذرة تتركز في بؤة صغيرة عند المركز ، والمحيط بها هو سحابة شحافة معككة ومبعدة الامتداد نسبياً ، مكونة من صدمات تعرف بالالكترونات وهو اسم مشتق من خواصها الكهربائية .

عند الحد الإلكتروني هي التي ترتبط بعضها مع بعض عندما يتكون جسم منفصلة ، وأحيان تنفصل بعض الالكترونات عن الذرة .

وبما أن هذه الحالة هي للذرة قد تأنيت ، وتتوقف درجة التأين على عدد الالكترونات التي تنفصل عن الذرة<sup>(٢)</sup> .

في عام ١٩٣٢ م اكتشف العالم الإنجليزي "شذوك" النيوترون .

وهذه النيوترونات تزيد الذرة وزناً ، ولكنها لا تؤثر في شحنتها الكهربائية

وأقول : إن هذا للكشف قد فتح الباب على مصراعيه لتفجير ذرة تقجيراً عنها يحصل منه الهدم والخراب والدمار<sup>(٣)</sup> .

كما كشف العالم الفيزيائي الفرنسي "دي بروي" أن ذرات المادة تنتهي إلى أساس موجي ، فوضع نظرية رياضية يكون فيها كل جزيء صغير من المادة مفترقاً بموجة ، ومن ثم فإن كشف "دي بروي" يمثل بداية عهد فتكسیر الموجي .

١ - انظر مشرف علم الفلك - فرد هول ص ٦٥ ، ترجمة إسماعيل حمي .  
منجمة عبد الحميد سماحه الناشر دار الكونك ط ١١ ، ١٩٦٣ م . وانظر  
الفيزياء الذرية والمعرفة البشرية بنزيور ص ٢٦ ، ترجمة رمسيس شحاته  
ط ١٩٧١ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢ - انظر في سبيل موسوعة علمية د / أحمد ركي ص ٤٢٤ ، ط ٥ ، ١٩٩٢ م .  
د / الشروق وانظر مشرف علم الفلك ص ٦٧ .

ثم جاء " شروينجر " ورأى أنه يمكن الاستغناء عن الجبروت ، وأنه توجد حرم موجبة تسلك على نحو شبيه بالجبروت ، ولكن بعد ذلك اتضح أن الرأيتين لا يمكن قبولهما معاً ، فالقترح " بون " لفكرة القائلة أن الموجات لا تكون أي شيء مادي على الإطلاق ، وإنما تمثل احتمالات ربمسية وحسب <sup>(١)</sup> .

وبعد القترح التاريخي لأر . انمااء في المادة يتضح أنها انتهت إلى لا شيء ، أي إلى العدم .

فهل يمكن - بعد ذلك - لاستدلال على حدوث العالم وخلقه من العدم من طريق العلم الحديث الذي أثبت بناء المادة ؟ !!

يقرر العلم الحديث أن الكون متناه حجم .

حيث تمكن عالم الفيزياء الشهير " ألبرت أينشتاين " من إيجاد نصف قطر الكون ، فوجد أن نصف قطر الكون يتناسب عكسياً مع الجذر التربيعي للكثافة ، وباستعمال أحسن التقديرات لمتوسط كثافة المادة في الكون يكون التقدير الحالي لنصف قطر الكون هو اثنين وأربعين ثلاثة وحشرون صفراً من الأميال <sup>(٢)</sup> .

ويؤيد ذلك ما ذهب إليه " السير آرثر إينجنرب " حيث قال ( ) ، وبطبيعة الحال نجد أن هذه الفكرة التي تنص على أن الكون متناهياً بصحب حجمها إلى حد كبير ، ولكن الحق يقال : إنها ليست بسوا من تلك الفكرة الأتمة المشقة

١ - انظر نشأة الفلسفة العلمية من ١٥٦ ، ١٥٧ والفيزياء الذرية والمعرفة

البيئية ، ص ٤٨ : ٤٩ .

٢ - انظر الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة د / يحيى هشام غزالي ص

١٤٧ ، ط ١٩٨١ م ، دار المعارف بمصر .

بالفناء النهائي للمفروح الذي لا يمكن أن يصوره أحد ، فليس ثمة من يستطيع أن يصور الانهيار. ونحن نستعمل اللفظ المجرد عادة من غير محاولة استيعابه<sup>(١)</sup>

وقد توصل العلم الحديث - أيضاً - إلى أن للكون بداية طبقاً لما يلي .

أولاً : أن للكون متده في المستقبل ، ويدل على ذلك قابلية المادة للفناء وهي ذلك يقول " جورج جاموف " ( أن ميكانيكا النسبية تؤدي إلى احتمال وجود عالمين مختلفين

احدهما موجب ، وهو الذي نعيش فيه

والثاني ، حريب سالب ، وهو ما لا سبب له سوى تحدي واعتراض سبيل تصوراتنا وأحلامنا ، وكتلة الأجسام في هذا العالم السالب بدورها سالبة كذلك ومعنى ذلك أنها عندما تنفج في اتجاه معين تتحرك في الاتجاه المصاد ونظراً لإمكان وجود البرونونات والنيوترونات والكهرب التي تتكون منها ذرات للعادة العادية وظهورها جميعاً في الحالات المصاد ، فإن ذلك يعني إمكان وجود المادة المكونة من هذه الجسيمات ، ومن اللازم أن تكون جميع لصفات الكيماوية والطبيعية للعادة المصاد هي عكسها صفات المادة العادية . والسبيل للوحد الذي نستطيع به أن نقرر أن جزيئين يتكونان من مادتين متضادتين فيما بينهما هو صميمهما معاً ، فإذا لم يحدث شيء فهما من نفس النوع المادي ، أما إذا حدثت بينهما عملية إلهاء ذرية فهما من مادتين متضادتين<sup>(٢)</sup> .

كما يقول أيضاً " جاموف " ( ولسبب من الأسباب يشعر فريق كبير من العلماء بالاطمئنان وثقة في الرأي لقائل : إنه بدراسة المادة تصل الأمور إلى

١ - انظر العلم لمروره وخفاياه - لسيير آرثر لسنجتون ج ١ ص ٩٩ ، ترجمة محمد صابر سليم ، ط ١٩٧١ م ، مكتبة حريب .

٢ - قصة الفيزياء - جورج جاموف ص ٢٥٤ وما بعدها ترجمة محمد جمال الدين القندي ، ط ١٩٦٤ م دار المعارف

النهاية ، وفي هذه الفقرة هي المصنفين صواب ، يقفون على جميع أضرار تركيب المادة الدخلى ( ٢١ ) .

وفي موضع آخر وتكلم جورج جاموف عن هذه المادة لم يقول ( إن عالم المادة تحكم شذو مبهدة ، وكل شرة مبهدة تكسب شذو أصغر ، وتكرر عملية للتشرد مئتين وستين مرة ، حتى بلغ سحق المادة مبلغ هذه الفترات الصغيرة .

وعلى هذا يكون قطر المادة أثناء شيء باستمرار من ألعاب نارية تنتهي بوا ، فحينئذ من ورائه حرماً حمراء وأرمدة ودخاناً ، ووقت من بعد على رماد يرقب تخالفت الشمس البطيء جاهدت أن يستعيد في أذهانت ذلك لا لتبوع الرقعة الذي تأصلت منه للعالم ( ٢٢ )

وبذلك يكون " جورج جاموف " قد أثبت إلغاء المادة في المستقبل .

ثانياً : أوضح - أيضاً - جورج جاموف أن العالم متده من جهة العاصي فقال ( إن المادة تتولد من لا شيء وتذهب إلى لا شيء ونعني بالإشعاع فقد ذهب " نيل بور " إلى أن قانون بقاء الطاقة لا ينطبق في حالة بحال بينات للنشاط الإشعاعي ، وفيه في حالة انبعاث جسيم بيتي من جسيمات بيتي تختفي كمية معينة من الطاقة .

لما في حالة انبعاث جسيم بيتي من جسيمات بيتا فيكون من الممكن تولد كمية إضافية من الطاقة من لا شيء وتبعاً لهذه النظرية فإن قانون بقاء الطاقة في العمليات النووية الأولى ينطبق على المتوسط فقط ( ٢٣ )

١ - المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .

٢ - نشوء الكون ، ص ٩٠ .

٣ - قصة الفيزياء ، ص ٣٨١ .

وبذلك يكون لعلم الحديث قد أثبت فناء المادة من كل وجه سواء من ناحية الحجم أو الزمان من جهة المستقبل أو الماضي .

كما أنه توجد دلالات علمية قوية في علم الفيزياء الحديثة تدل على أن للعالم بدلية ، وذلك عن طريق تمدد الكون ، أو كما عبر عنها " قصير أرثر أنجتون " هي مسألة الكون ، لأخذ في الاتساع .

يقول " السير أرثر أنجتون " { ويسير الاتساع بالمعدل الحالي إلى المدى الذي معه سوف تصل السهم إلى صعب إعادتها للحالة في مدى ١٣٠٠ مليون سنة

وعلى ذلك سوف يصنف علماء الفلك فتحات مداخلهم الفلكية كل ١٣١٠ مليون سنة ، لكي يسيروا عمليات التمدد هذه .

ويبدو لنا عجباً أن يتصاعد اتساع الكون خلال الأحقاب الجيولوجية ، ويعني ذلك لا يستلزم أن يرجع للفقر في الزمن إلى ما لا نهاية .

ومن الاستنتاجات التي أعطاناها عن النظرية النسبية أنه يجب أن توجد قوة تعرف باسم " المتأخر الكوني " تعمل على نشوء مثل هذا النوع من التشتت ، الذي معه يتباعد كل جرم عن أي جرم آخر (١) .

كما يستنتج أن للكون بداية أيضاً من لقائون الثاني للديناميك الحرارية ، أو كما يسمى قانون " عدم القابلية للاحتكاك " .

ونص القانون هو ( ليس في الإمكان تحويل الحرارة إلى طاقة ميكانيكية من غير أن يكون لدينا فائض أو مزيد من الحرارة الهابطة من مكان ساخن إلى آخر بارد .

١ - العلم أمراره وخلفاءه من ٩٥ : ٩٧ .



ويقال - أخص - ( إنه في جميع المعنويات الحرارية يجب أن نزيد درجة التعاضد ذاتاً ) (١) .

فهذه القوانين هو الذي يحكم تنفق المطلق الحرارية من منطقة ساخنة إلى أخرى باردة .

لم تسميه بقانون علم القبلية لانعكاس فذلك لأن الحرارة تسري من الأجسام الساخنة إلى الأجسام الباردة ولا يمكن أن يحدث العكس

وذلك مثل قدح القهوة الساخن فإنه يبرد نتيجة لانفعال الحرارة إلى المحيط ، ويمكن الحرارة لا تسري من المحيط البارد إلى قدح القهوة الساخن

تعبير القانون هو أن الحرارة تسري من الأجسام الساخنة إلى الأجسام الباردة ، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة دغية .

وذلك مثل أن نلقي بمكعب من الثلج في كوب من الماء ، فإن الماء يصبح بارداً ، لأن حرارته انتقلت إلى الثلج وأذنته

ومعنى ذلك أن درجة حرارة جميع الكائنات نتيجة إلى التمازج يوماً ما وتنعقد الطاقة ، ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيميائية أو طبيعية ، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها في هذا الكون .

وهذا يد على أن الكون بداية ، لأنه لو كان أزلياً لاستهلك طاقته منذ زمن بعيد ، وتوقف كل نشاط في الوجود (٢) .

١ - قصة الفيزياء ص ١٥٨ وانظر أساسيات الديناميك الحرارية والكلاسيكية ، ص ٢٠٣ - ٢١٠ ، جوردون .

٢ - انظر نشأة الفلسفة العلمية ص ١٤٤ وقصة الفيزياء ص ١٧٢ .

و قد القائلون نفسه هو الذي طبقه " فرنكس " على " عالم الطبيعة البيولوجية " على حدوث الكون وعدم أزليته .

وقد أكد " فرنكس " على أنه لا بد من وجود خلق لهذا الكون أزلي ليس له بداية ، عظيم محيط بكل شيء فقال : ( إن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً ، ولأنها متأثرة حتماً بالي يوم تصير فيه الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ، ويومئذ يتعطل المبدأ ويستحيل الحياة .

لما الشمس المستعرة والنجوم المتوجعة والأرض المسية بأنواع الحياة ، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو إذن حدث من الأحداث .

ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خلق أزلي ليس له بداية ، عظيم محيط بكل شيء قوي ليس لقدرته حدود ، ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع بديهي (١) .

يتضح لنا من النص السابق أن العالم لو كان أزلي لكان مبدداً ، ولكن لواقع المحسوس ثبت عكس ذلك فوجدنا ذلك على أن الكون بديهي .

الاستدلال على حدوث العالم بواسطة قوانين لمركبة الإلكترونية :

جاء ذلك نتيجة لتعطيم الذرة وكيفية تركيبها ، ومعرفتنا أن قدرة تتكون من نواة ( البروتون والنيوترون ) والإلكترون الذي يدور حولها بسرعة هائلة وبمركبة دائرية .

١ - نملأ عن كتاب الله جل جلاله - سعيد جوي ص ٢٣ - ٢٤ ط ٣ ، ١٩٨١ م نشر للطبع دمشق ، بيروت .

يقول سعيد حوي ( ١ ) إن الإلكترون في أكثر ذرات الوجود إن لم يكن في كلها في حركة دائمة دائرية ، وإنه يوجد أي ذرة في الوجود يدل على أنه يمكن أن يكون هناك ومع آخر للإلكترون كان عليه أولاً ، ثم انتقل إلى هذه الحالة ، وإن هذا الكون كله مؤلف من نفس الذرات التي عرفنا خصائصها ، بل من نفس العناصر .

وهذه الحركة التي نجدها في الإلكترون نجدها في كل جرم في الفضاء . وإن الشيء الدائر لابد أن تكون له نقطة بداية زمانية ومكانية بدأ منها دورته ، وهي بداية وجود الذرات نفسها ، وبهذا يثبت أن الكون بداية (٢)

إثبات حدوث العالم عن طريق الطاقة الشمسية :

فإن إن ذرات الشمس تتحطم في داخل المرتفع الحرارة جداً ، وبواسطة هذا التحطم الهائل المستمر تتولد هذه الطاقة الحرارية التي لا مثيل لها ، وعندما تتحطم الذرة تفقد جزءاً من كتلتها ، حيث يتحول هذا الجزء إلى طاقة

وإن هناك يوم يمر على أي شمس معدة فقدان جزء ولو يسير من كتلتها ، فإن تصور آرية الكون الحالي مستحيلة ، إذ أن تعداداً واحداً على مدي الأرض كالك لاستنفاد طاقة الوجود كله (٣) .

١ - انظر كتاب الله جل جلاله من ٢٥ .

٢ - انظر المصدر السابق نفس الصفحة وانظر كتاب الأرض في الفضاء - شعارتر تشيلند - ترجمة محمد علي ناصف ص ٣٠ ، ط ١٩٢٧ م ، مكتبة

الوحي العربي .

- ١ - من القول بالجرء الذي لا يتجرأ ( للجواهر الفرد ) قد تأكد وجوده في العصر الحديث . وبذلك يكون العلم الحديث قد أيد موقف المتكلمين .
- ٢ - عن طريق تطور العلم وكثرة الاكتشافات العلمية المستمرة توصل العلماء إلى أن الذرة تتركب داخلياً ولدت هذه المعرفة إلى تحطيم الذرة وانتهت إلى العدم
- ٣ - حاول العلماء للبحث عن أصل هذه الكون عن طريق الظواهر الطبيعية التي أوصلتهم إلى أن له بداية وأنه مخلوق من عدم وسيلته هي حتماً إلى العدم .

## الخلاصة

بعد هذه الجولة بين ثانياً هذا البحث فقد توصلنا إلى أبرز النتائج الآتية :

أولاً : أن المصطلح الذي استخدمه أرسطو قديماً للتعبير عن فكرة الجوهر وهو ( أوسيا ) هو نفس المصطلح الذي استخدمه فلاسفة الإسلام وهو ( جوهر ) ولكنه ليس نفس الجوهر عند المتكلمين ، وذلك لأنهم - المتكلمون - يقصنون بهذه الفكرة الجزء الذي يتجزأ .

ثانياً : لذا بحثنا عن مقابل لفكرة الجوهر القائم بنفسه عند الفلاسفة الإسلاميين والأوسيا الأرسطية فلنا نجد ذلك الجوهر متمثلاً في فكرة الجسم عند المتكلمين .

ثالثاً : أن فكرة الجوهر عند الفلاسفة القديماء قد احتلت مساحة ليست بالقليلة لكن تصورهم لها كان ناقصاً لأنهم لم يتوصلوا إلى معرفة كيفية الفصل بين الجوهر لمادي والجوهر لروحي .

رابعاً : أن الفلاسفة الإسلاميين أنكروا ما يسمى بالجوهر الفرد ، وذهبوا إلى أن الجسم كم متصل في نفسه قابل للتقسمة إلى غير نهاية بحسب الإمكان .

خامساً : بعد أن فهمنا الخلاف - من الممتزجة - أول من حاول حل المشكلة الطبيعية وهي العالم والذي رآه متغيراً غير ثابت فعالج مشكلة التغير بذهب للجزء الذي لا يتجزأ ( الجوهر الفرد ) .

سادساً : أنكر النظام - من الممتزجة - فكرة الجوهر الفرد وزعم أن كل جزء من الأجزاء لا بد أن ينقسم وهو بذلك قد اتفق مع الفلاسفة الإسلاميين .

سابعاً : إن الأشاعرة قد قالوا بنظرية الجواهر الفرد لمعارضتها فكرة  
لوميطة عن المحرك الأول الذي يحرك فقط ولا يتحرك ، وقد وضعوا لهذه  
الفكرة أساساً عقائدياً هلاماً هو أن الله تعالى لزم قديم .

ثامناً : إن الفلاسفة المحدثين قد قالوا بنظرية الجواهر الفرد وأسموها المودا  
يكونوا قد اتفقوا مع المتكلمين خاصة " تينتز " .

تاسعاً : إن التطور العلمي قد توصل إلى أن للذرة تركيباً دليلاً وقد أتت  
هذه المعرفة إلى تحطيم الذرة حتى انتهت إلى العدم .

والحمد لله الذي بيده تتم الصالحات

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

### ثبت بغير مراجع البحث

- ١ - أفكار الأفكار للأمدى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٦٠٣ علم الكلام .
- ٢ - الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ، د : يحيى فوزلي ١٩٨٤ دار المعارف بمصر .
- ٣ - ( الله ) سعيد حوى ١٩٨١ دار القلم دمشق وبيروت .
- ٤ - الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي - د : محمد جلال شرف ١٩٨٩ م دار للمعرفة الجامعية .
- ٥ - تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى - نيكارت - ترجمة كمال الحاج ١٩٦١ منشورات عويدات - بيروت .
- ٦ - للتذكرة في أحكام الجواهر والأعراض - الحسن بن منوية المعتزلي - تحقيق سامي لطفي - دار الثقافة - القاهرة .
- ٧ - التمهيد للبلاطى - تعليق محمود الخضرى - دار الفكر العربى ١٩٤٧ م .
- ٨ - التراث اليونانى في الحضارة الإسلامية - ترجمة د : عبد الرحمن بدوى ١٩٤٠ م النهضة المصرية .
- ٩ - تاريخ الفلكى الفلسفى - د : محمد أبو ريان ١٩٦٥ م مكتبة الإسكندرية .
- ١٠ - تاريخ الفلسفة في الإسلام - ديور - ترجمة أبو ريدة ١٩٥٤ م القاهرة .
- ١١ - درء ثمار من الحقل والنقل - ابن تيمية - تحقيق محمد رشاد سالم ، النور الأدبية
- ١٢ - الحروف للفارابى - تحقيق محسن مهدى ١٩٧٠ م بيروت .
- ١٣ - رسائل الكندي الفلسفية - تحقيق أبو ريدة - دار الفكر العربى ١٩٧٨ م .

- ١٤ - الشامل في أصول الدين للجويني - تحقيق للنشار وآخرين ١٩٦٩ م منشأة المعارف بالإسكندرية .
- ١٥ - الشفاء لابن سينا - تحقيق سعيد زايد ١٩٨٢ م الهيئة العامة للكتاب بمصر .
- ١٦ - طريق الفيلسوف - جان غل - ترجمة أحمد حمدي محمود ١٩٦٧ م سجل العرب بالقاهرة .
- ١٧ - العلم أمواره وخفاياه - الأمير آرثر - ترجمة محمد صابر سليم - ١٩٧١ مكتبة غريب .
- ١٨ - فكرة الجوهري في الفكر الفلسفي الإسلامي - سامي لطفي ١٩٧٨ م مكتبة الحرية الحديثة .
- ١٩ - المعجم الفلسفي - جميل صليبا ١٩٨٢ دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- ٢٠ - للمعاني في الخلاف بين البصريين والبهائيين - النيسابوري - تحقيق من زيادة ١٩٧٩ م - بيروت .
- ٢١ - مذهب الفرة عند المسلمين - بنيس - ترجمة أبو ريدة .
- ٢٢ - منهاج السنة - ابن تيمية - تحقيق محمد رشاد سليم ١٩٦٢ م القاهرة .
- ٢٣ - نشأة الفلسفة العلمية - هانز شندباخ - ترجمة فؤاد زكريا ١٩٦٢ م دار الكتاب العربي - القاهرة .
- ٢٤ - النجاة - ابن سينا - تقديم ماجد فخري ١٩٨٥ م دار الآفاق - بيروت .
- ٢٥ - نشوء الكون - جورج جاموق - ترجمة إسماعيل مظهر ١٩٥١ م مكتبة النهضة .
- ٢٦ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - النشار ١٩٦٥ م الإسكندرية .
- ٢٧ - النفس والجسد - محمود زيدان - دار الكتب الجامعية .